

الوافي في الوفيات

بيبرس بن عبد الله السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالح ؛ قال عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم بن شداد أخبرني الأمير بدر الدين بيسري أن مولد الملك الظاهر بأرض القبحاق سنة خمس وعشرين وستمائة تقريباً ولما أزمع التتار على قصد بلادهم كاتبوا أنصقان ملك الأولاق أن يعبروا بحر سوداق إليه ليجيرهم من التتار فأجابهم إلى ذلك وأنزلهم وادياً بين جبلين له فوهة إلى البحر والأخرى إلى البر وكان عبورهم إليه سنة أربعين وستمائة فلما اطمأنوا غدر بهم وشن الغارة عليهم فقتل وسبى وكنت أنا والملك الظاهر فيمن أسر فبيع فيمن بيع وحمل إلى سيواس فاجتمعت به في سيواس ثم افترقنا واجتمعت به في حلب بخان ابن قليج ثم افترقنا فحمل إلى القاهرة وشراه الأمير علاء الدين أيديكين البندقاري وبقي عنده فلما قبض عليه الملك الصالح نجم الدين أيوب أخذ الملك الظاهر في جملة ما استرجعه . وقدمه على طائفة من الجمدارية فلما مات الصالح وملك بعده المعظم وقتل ولوا عز الدين أيبك التركماني الأتابكية ثم استقل وقتل الفارس أقطاي الجمدار ركب الظاهر والبحرية وقصدوا القلعة فلم ينالوا مقصوداً فخرجوا من القاهرة مجاهرين بالعداوة للتركماني مهاجرين إلى الناصر صاحب الشام . وكان الظاهر وبلبان الرشدي وأزدمر السيفي وسنقر الرومي وسنقر الأشقر وبيسري الشمسي وقلوون الألفي وبلبان المستعرب وغيرهم فأكرمهم الناصر وأطلق للظاهر ثلاثين ألف درهم وثلاثة قطر بغالاً وثلاثة قطر جمالاً وخيلاً وملبوساً وفرق في البقية الأموال والخلع وكتب إليه المعز أيبك يحذره منهم فلم يصغ إليه وعين للظاهر إقطاعاً بحلب فسأله العوض عن ذلك بزرعين وحنين فأجابه فتوجه إليهما ثم خاف الناصر فتوجه بمن معه من خوشداشيته إلى الكرك فجهز صاحبها معه عسكرياً إلى مصر فخرج إليه عسكري من مصر فكسروهم ونجا الظاهر وبيليك الخزندار فعاد الظاهر إلى الكرك وتواترت عليه كتب المصريين يحرضونه على قصد مصر . وجاءه جماعة من عسكري الناصر وخرج عسكري مصر مع الأمير سيف الدين قطز وفارس الدين أقطاي المستعرب فلما وصل المغيث والظاهر إلى غزة انعزل إليهما من عسكري مصر أيبك الرومي وبلبان الكافوري وسنقرشاه العزيزي وأيبك الجواشي وبدر الدين ابن خان بغدي وأيبك الحموي وهارون القيمري واجتمعوا بهما فقويت شوكتهما وتوجهتا إلى الصالحية والتقيا بعسكري مصر سنة ست وخمسين واستظهرا عليهما ؛ ثم انكسرا وهرب المغيث والظاهر وأسرا جماعة وضربت رقابهم صيراً ممن ذكرته أولاً . ثم حصل بين الظاهر والمغيث وحشة ففارقه وعاد إلى الناصر على أن يقطعه مائة فارس من جملتها قصبه نابلس وجنين وزرعين فأجابه إلى نابلس لا غير ومعه جماعة حلف لهم الناصر وهم بيسري الشمسي

وأوتامش السعدي وطبيرس الوزيري وآقوش الرومي الدوادار وكشتغدي الشمسي ولاجين الدر فيل وأيدغمش الحلبي وكشتغدي المشرقي وأيبك الشخي وخاص ترك الصغير وبلبان المهراني وسنجر الإسعدي وسنجر الهامي والبلان الناصري ويكنى الخوارزمي وطمان وأيبك العلائي ولاحين الشقيري وبلبان الإقسيسي وسلطان الإلذكزي ووفى لهم . فلما قبض الملك المظفر قطز على ابن أستاذه حرص الملك الظاهر للملك الناصر على قصد مصر ليملكها فلم يجبه فسأله أن يقدمه على أربعة آلاف فارس أو يقدم غيره ليتوجه إلى شط الفرات لمنع التتار من العبور إلى الشام فلم يمكنه الصالح لباطن كان له مع التتار ثم إن الظاهر فارق الناصر وتوجه إلى الشهرزورية وتزوج منهم ثم جهز إلى المظفر من استخلفه له وعاد إلى القاهرة ودخلها سنة ثمان وخمسين وستمائة مخرج المظفر للقاءه وأنزله في دار الوزارة وأقطعه قصبه قليوب لخاصه . فلما خرج المظفر للقاء التتار جهز الظاهر في عسكر لكشف أخبارهم فأول ما وقعت عينه عليهم ناوشهم القتال . ولما انقضت الوقعة بعين جالوت تبعهم الظاهر يقتص آثارهم إلى حمص وعاد فوافى المظفر بدمشق ولما توجه المظفر إلى مصر اتفق الظاهر مع الرشيدي وبهادر المعزي وبكتوت الجوكنداري وبيدغان الركني وبلبان الهاروني وأنص الأصبهاني على قتل المظفر فقتلوه على الصورة التي تذكر في ترجمته إن شاء الله تعالى . وساروا إلى الدهليز فبايع الأمير فارس الدين الأتابك للملك الظاهر وحلف له ثم الرشيدي ثم الأمراء وركب